الفصل الثاني : الحس النقدي عند ياقوت .

لقد تميز ياقوت الحموى في معجم الأدباء بنظرات نقدية بارعة ربما لا تكفي لكي تصنع منه ناقدا بالمعنى الكامل ، لكنها تدل على مدى تعمقه في تحليل النصوص واستخلاص قيمتها ، وقد ساعده في ذلك كثرة اطلاعه وقراءته للكتب التي تتعرض للقضايا النقدية ، فاستفاد منها الكثير ، ونقل منها مصرحا بذلك في بعض الأحيان ، ومتجاهلا للتصريح في أحيان أخرى ومن هذه المصادر النقدية " يتيمة الدهر " للثعالبي والذي اعتمد عليه كثيرا ، ومنها " البيان والتبيين " للجاحظ ، و" الأغاني " لأبي الفرج الأصفهاني واعتمد أيضا على مؤلفات أبي حيان التوحيدي " كالإمتاع والمؤانسة " و" تقريظ الجاحظ " وفي مجال الرواة اعتمد في توثيقهم على " الثقات " لابن حبان ، و" الفهرست " مثلا ، وغير ذلك من المصادر النقدية المنتشرة على مدار المعجم كاملا . وللنقد الأدبي عند النقاد العرب أصول وقواعد يسير عليها ، فهم يتناولون العمل الأدبي والأديب من خلال ما يحيط به ، ثم التعرض للنص بتتبع ما فيه ، ودراسة جوانبه المختلفة من أسلوب وموضوع ، وغاية هذا النص ، وما نستشفه من شخصية صاحب النص ونفسيته ، ومدى ما يمكن التوصل إليه من صدق فني أو كذب "[1] ، ويقول د / محمد زغلول سلام : " ولا نتوقع أن يلم القدماء من نقادنا بكل هذه الجوانب ، ولكنا مع ذلك لا نقول أنهم تجاهلوها تماما أو غفلوا عنها فلم يدرسوها ، أو لم يتوصلوا إلى علاقتها بالنص الأدبي وصاحبه "[2] .

وقد عرف د / جابر عصفور النقد الأدبي وميز فيه الكلام النقدي عن الأدبي ، يقول :

---

(١) ضياء الدين بن الأثير/ محمد زغلول سلام : ٥٨ ، ط : دار المعارف العدد ٣٦ من نوابع الفكر العربي الطبعة الثانية .

(٢) المصدر السابق : ٥٨ .

" الكلام النقدي عن الكلام الأدبي ينبني على مستويين متفاعلين ، المستوى التطبيقي: الذي هو معالجة مباشرة للنصوص الأدبية ، والمستوى النظري : الذي هو صياغة تنظيرية وإذا كان المستوى الأول يتسم بالتعين والتحدد في الإشارة المباشرة إلى نص بعينه، ولا يخلو من عمليات التحليل التي هي كشف عن عناصر تكوينية ، وعمليات التأويل الذي بين العناصر التكوينية في علاقات كاشفة ويدل على درجة القيمة على نحو من الأنحاء ، فإن المستوى الثاني يستبدل بالتخصيص التعميم ، وباليقين التجريد ، باحثا عن المبادئ الثابتة وراء المتغيرات النصية وعن الأطر المرجعية التي نستهدى بها كل مقاربة مباشرة "(١).

وياقوت هذا الأديب البارع المجتهد استطاع أن يصل بالمطالعة والقراءة إلى حد يستطيع أن ينقد ويحكم على الآخرين ، بل واستطاع أن يميز بين الجيد والرديء على مستوى النصوص النثرية أو الشعرية ، بل وصل إلى حد نقد الأخبار، فياقوت قد استطاع أن يعمل على مستويي النقد عند د. جابر عصفور.

يقول د / إحسان عباس : " وكما حصل ياقوت الحد الأدنى من القدر الذي يتوقع من "مثقف " في عصره في مجال الشعر والنثر، فإنه استطاع بالممارسة والمطالقة والمحاورة أن يربي لنفسه ذوقا نقديا يسعفه في حكمه على ما يقرأه لغيره من شعر، ومع أنه ينقل شعرا متفوقا وأخر متخلفا ، فإنه قوي التمييز بين الجيد والرديء من القول ، وقد عرضت له تجارب ولدت لديه أحكاما لا يتابع فيها رأى الأكثرية "(٢).

الأخرى فوجد أن ياقوت قد تميز بقدرته على نقد الروايات باتقان ، يقول:

(١) قراءات في النقد الأدبي / د جابر عصفور ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢م .
(٢) " معجم الأدباء " : ٧ / ٢٩٢٧ .

" ومهما يكن من أمر مقارنة كتاب ياقوت بكتب التراجم الأخرى ، فإن ياقوتا كان يتقن نقد الروايات والأخبار التاريخية "(١) .

وحقيقة فإطلاق هذا الحكم الذي قارن به دكتور العمد معجم الأدباء بكل كتب التراجم ليس صحيحا ، فإن كان ياقوت تميز في مسألة النقد إلا أنه لم يصل إلى قدرة الصفدي مثلا على النقد فكثيرا ما نقد الصفدي أقوال وأخبار ياقوت نفسه ، بل وقام بنقد بعض أبيات شعره (٢) ، فقدرة الصفدي على التقصي والنقد أعلى من الحموي .

وياقوت لم يكن اعتماده فقط على الكتب النقدية في مسألة الحكم على النصوص ونقده إياها ، بل اعتمد على سؤال غيره ومحاورتهم وساعده على ذلك كثرة أسفاره وترحاله من بلد لآخر ، ولاشك أن ممارسة الكتابة وهبته حسا نقديا تجلى فيها بين مجال الأدب والنقد . فمثلا نجده في اختياره للشعر يختار ما يوافق كلامه ويطابقه ، ففي محور حديثه عن محمد بن موسى الحدادي البلخي، يقول:" **وشعره سائر مدون أكثر أمثال وحكم "(٣)** وهذا ما استشهد به ياقوت والذي فيه ما يوضح مدى دقة اختياره لما يوافق كلامه : (من السريع)

يسرني من حسد الناس لي ... أني فيهم غير محروم

وأنني من كرم لابس ... وأنني عار من اللوم

وقال : (من مجزوء الكامل)

" إن كنت أشكو ما ير ... ق عن الشكاية في القريض

فالفيل يضجر وهو أعـ ... ـظم ما رأيت من البعوض "(٤)

---

(١) " مصادر المكتبة العربية " هاني العمد : ٤١ .
(٢) انظر ياقوت الحموي شاعرا في هذا البحث .
(٣) " معجم الأدباء " : ٦ / ٢٦٥٢ – ٢٦٥٣ ، ترجمة : ١١٢٣ .
(٤) " المصدر السابق " : ص : ٢٦٥٣ .

وهو يختار من شعر من يترجم له ما يتوافق مع أخلاقه ، فصاحبنا معروف بحسن الخلق ، لذا ابتعد عن أبيات الهجاء اللاذع وكذلك أبيات الغزل الصريح ، إلا ما ندر فأحيانا ما يروي أبياتًا فيها من سوء الخلق ، وأبياتا فيها تصريح بالزنا لكن هذا قليل والأكثر ابتعاده عن ذلك .

وله عبارات كثيرة نقدية وإن كانت قصيرة ، لكنها برغم قصرها الشديد إلا أنها تعبر عن مدى جودة شعر من ترجم له ، أو مدى ضعفها ، منها ، قوله :

"وله شعر أجاد فيه "	" في ترجمة واصل بن عطاء " .
"وله شعر صالح "	" في ترجمة محمد الرامش " .
"ولرشيد الدين شعر دون نثره جودة "	" في ترجمته للوطواط " .
"من شعره الرائق الفائق "	" في ترجمة البديع الأسطرلابي " .
" كان أديبا فاضلا وشاعرا مجيدا	" في ترجمة هبة الله بن علي بن غرام".

وياقوت لا يحكم على أحد دون أن يقرأ له حتى يتمكن من الحكم عليه ، فياقوت في حكمه صادق عالم بما يقول ، فقوله إن أبا العباس الناشئ " مهوس ومختلط " ، لم يقله إلا بعد أن قرأ بعض كتبه ، فحكم عليه بها ، وفي نقل الصفدي للخبر موافقة منه على قول ياقوت ؛ **يقول الصفدي ناقلا عن ياقوت :**

"قال ياقوت في " معجم الأدباء " : وقد قرأت بعض كتبه فدلتني على هوسه واختلاطه(١) لأنه أخذ نفسه بالخلاف على أهل المنطق والشعر والعروضيين وغيرهم وراء

(١) انظر قول ابن تيمية عن مقولة قالها الناشئ لتتأكد من صدق كلام الحموي عن هوس الرجل واختلاطه ، يقول ابن تيمية : " ولهذا زعم أبو العباس الناشئ أن الأسماء التي يسمى بها الله ويسمى بعض عباده بها هي حقيقة في الله مجاز في عباده نقيض قول القرامطة الباطنية والجهمية " ، انظر" درء تعارض العقل والنقل (أو) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول " ابن تيمية : ٥ / ١٨٤ ، تحقيق دكتور : محمد رشاد سالم ، نشرته جامعة الإمام محمد ابن سعود ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، في أحد عشر جزءا .

أن يحدث لنفسه أقوالا ينقص بها ما هم عليه ، فسقط في بغداد فلجأ إلى مصر "(١) .

- من آرائه النقدية :

نقد ياقوت كلاما ورد في " كتاب الوزيرين " لأبي حيان التوحيدي وفيه قصة حدثت لابن ثوابة الكاتب حيث أتى له صديق ذات يوم ونصحه بأن يكمل فضائله بعلوم الهندسة والأشكال التي وضعها اقليدس ، فعلم بما دار بين ابن ثوابه وبين صديقه أحمد بن الطيب ، فاستظرف ذلك ، وعجب منه ، وبعث برسالة إلي ابن ثوابه ، ورد عليه ابن ثوابه شاكرا له على رسالته اللطيفة ، وهذه القصة موجودة بتمامها في ترجمة ابن ثوابه في معجم الأدباء لياقوت ، ولكن ما يهمنا هو نقد ياقوت الذي أتبعه هذه القصة واتهامه إياها بأنها مفتعلة مزورة ذاكرا سبب اتهامه لها بالافتعال ، فيقول : **" قال عبد الله الفقير إليه مؤلف هذا الكتاب** : لاشك أن أكثر ما في هذه الرسالة مفتعل مزور ، وما أظن برجل مثل ابن ثوابه وهو بمكانة من العلم بحيث تلقى إليه مقاليد الخلافة ، فيخاطب عنها بلسانه القاصي والداني ويرتضيه العقلاء والوزراء بحيث لا يرون له نظيرا في لسانه في براعة لسانه، تولى كتابة الإنشاء لسنين كثيرة أن يكون منه هذا كله ، ولكن عسى أن يكون منه ما كان من ابن عباد وهو الذي ساق أبو حيان خبر ابن ثوابه لأجله "(٢) .

ويستطرد قائلا :

" ومثل هذا يبعد أن يقول مثله من لم يتدرب بهذه الصناعة فما تقدم في حديث ابن ثوابه فهو غاية في التجلف ، والرجل كان أجل من ذلك " .

---

(١) " المصدر السابق " : ٤ / ١٥٤٨ ، ترجمة : ٦٦٨ ، " الوافي بالوفيات " : ١٧ / ٢٨٢ ترجمة رقم : ٦٤٠٥ ، وهذه الترجمة سقطت من معجم الأدباء ونقلها دكتور إحسان عباس من الوافي لتصريح الصفدي بنقله عن ياقوت في " معجم الأدباء " ، لكن في تاريخ بغداد نسبت هذه المقولة للمرزباني : ١٠ / ٩٢ ، وقد يكون الخطيب على حق فياقوت كان ينقل من المرزباني كثيرا .

(٢) " معجم الأدباء " : ١ / ٤٤٧ ، ترجمة : ١٤١.

ثم ينقد أبا حيان ويذكر عادته في الوضع والتزوير، يقول :

" وإما أن يكون أبو حيان جرى على عادته في وضع ما أكثر من وضعه من مثل ذلك والله أعلم "(١)

وهذا من آراء ياقوت النقدية في الأدباء الذين اتخذهم وكتبهم مصدرا له ينقل منه - وقوله في ترجمة إبراهيم الصولي :

"وهذا من نادر الشعر وجيده ، ومن ذلك قول لأخيه عبد الله :

ولكن عبد الله لما حوى الغنى ... وصار له من بين إخوانه مـــال

[illegible] نهم تـــسد بمالـــه ... أساهمهم حتى استوت بهم الحال

وهذا يدل على أن قبله غيره ، ولولا أن يكون قبله غيره لقال:.

" ألا إن الجواد أبا هشام و"ألا إن عبد الله " أو يكون قصد الإبهام بمدح قد تقدم هذه الأبيات من جملته والله أعلم " .(٢)

وهنا تتضح قدرة ياقوت الأدبية وقدرته على فهم الأبيات الشعرية ، ففهم من قوله " ولكن " أن هناك أبياتا قد سبقت هذا البيت لوجود حرف الاستدراك " لكن " ولولا ذلك لما بدأ البيت بحرف الاستدراك " لكن " ، وحرف العطف " و" ومنها قوله في ترجمة محمد بن محمد عبد الجليل المعروف بالوطواط :

" ولرشيد الدين شعر دون نثره جودة فمن ذلك قصيدة أوردها فمن كتاب إلى صدر الدين بن نظام الدين رئيس جرجان "(٣).

وقد خالف ياقوت ما قاله عن نظم الوطواط في بداية ترجمته له حيث ، قال :

---

(١) " المصدر السابق " : ١ / ٤٤٨ ، ترجمة : ١٤١ .
(٢) " معجم الأدباء " : ١ / ٧١ ، ترجمة : ١٦ .
(٣) " المصدر السابق " : ٦ / ٢٦٣٤ ، ترجمة : ١١٠٥ .

" أفضل زمانه في النظم والنثر وأعلم الناس بدقائق كلام العرب وأسرار النحو والأدب " (١).

فلعل ياقوتا قد قصد أن يوضح للقارئ أن نثر الوطواط أفضل بكثير من نظمه وهذا لا يقلل من شأن نظمه بقدر ما يعلى من شأن نثره .

ومن آرائه النقدية الغاية في الأهمية والتي جسدت بحق أهمية كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني التاريخية والأدبية ، وذلك في كلمات وعبارات قصيرة ، ثم ذكر عيوب هذا المؤلف الضخم الذي أثنى عليه كل من له علاقة بالأدب وأهله يقول مثنيا على الكتاب :

" قال المؤلف : ولعمري إن هذا الكتاب لجليل القدر شائع الذكر جم الفوائد عظيم العلم ، جامع بين الجد البحت والهزل البحت ، وقد تأملت هذا الكتاب وعنيت به وطالعته مرارا وكتبت منه نسخه بخطي في عشر مجلدات ، ونقلت منه إلى كتابي الموسوم " أخبار الشعراء " فأكثرت "(٢) .

هذا ما يتعلق بالثناء على الكتاب وبيان مدى أهميته وذيع صيته واشتهاره ، أما ما يتعلق بنقده للكتاب ، يقول : .

" وجمعت تراجمه فوجدته يعد بشيء ولا يفي به في غير موضع منه ، كقوله في أخبار أبي العتاهية : " وقد طالعت أخباره هاهنا ، وسنذكر خبره مع عتبة في موضع آخر ولم يفعل . وقال في موضع آخر : " أخبار أبي نواس مع جنان إذ كانت سائر أخباره قد تقدمت ، ولم يتقدم شيء إلى أشباه لذلك والأصوات المائة هي تسع وتسعون ، وما أظن إلا أن الكتاب قد سقط منه شيء أو يكون النسيان غلب عليه والله أعلم " (٣).

---

(١) " المصدر السابق " : ٦ / ٢٦٣٢ .
(٢) " معجم الأدباء " : ٤ / ١٧٠٨ ، ترجمة : ٧٤٦ .
(٣) " المصدر السابق " : ٤ / ١٧٠٨ ، ترجمة : ٧٤٦ .

وتكلم عن مقامات الحريري ، وعلى الرغم من أنها عبارات موجزة قصيرة لكنها موحية معبرة عن مدى جودة مقامات الحريري واتساع شهرتها ، ودقة الحريري في انتقاء الجمل والعبارات والألفاظ ، يقول : .

" **قال مؤلف الكتاب** : ولقد وافق كتاب المقامات من السعد ما لم يوافق مثله كتاب ألبتة ، فإنه جمع بين حقيقة الجودة والبلاغة ، واتسعت له الألفاظ ، وانقادت له وفود البراعة حتى أخذ بأزمتها وملك رقبتها فاختار ألفاظها وأحسن نسقها ، حتى لو ادعي بها الإعجاز لما وجد من يدفع في صدره ولا يرد قوله ولا يأتي بما يقاربها فضلا عن أن يأتي بمثلها ، ثم رزقت مع ذلك من الشهرة وبعد الصيت والاتفاق على استحسانها من الموافق والمخالف ما استحقت وأكثر "(١) .

أورد ما يدل على أن المخالفين ، ومن لا يقيمون لأهل العلم من المتقدمين ولا المتأخرين وزنا كشميم الحلي الذي كان عالما متمكنا ، إلا أنه كان لا يقيم لأحد من المتقدمين أو المتأخرين وزنا ، ولا يقر لأحد بالجودة والإحسان علي شيء أبدا ، لكنه مع ذلك أثنى كثيرا على مقامات الحريري ، وكيف أنه حاول أن يسلك طريقة الحريري في مقاماته ولكنه فشل ثلاث مرات مما أدى به إلى شرحها(٢) .

ومنها ما كان نقده مبنيا علي علمه بالنسخ والكتابة وحرفتيها ، يقول معلقا على قول الزهري الذي أورده الحميدي في جذوة المقتبس :

" وحكى عنه بإسناد له ، قال : كان شيوخنا من أهل الأدب يتعالمون أن الحرف إذا كتب عليه صح . بصاد وحاء . أن ذلك علامة لصحة الحرف لئلا يتوهم متوهم عليه خللا ولا نقصا ، فوضع حرف كامل على حرف صحيح ، وإذا كان عليه صاد ممدودة دون حاء كان

(١) " المصدر السابق " : ٥ / ٢٢٠٥ ، ترجمة : ٩٠٦ .
(٢) انظر ترجمة الحريري ٩٠٦ : ٥ / ٢٢٠٥ - ٢٢٠٦ .

علامة على أن الحرف سقيم إذ وضع عليه حرف غير تام ليدل نقص الحرف على اختلال الحرف ، ويسمى ذلك الحرف أيضا ضبة أي أن الحرف مقفل بها لم يتجه لقراءة كما أن الضبة مقفل بها "(١) .

أما عن السند الذي ذكره الحميدي ، فنقلته من جذوة المقتبس له :

" أخبرني أبو محمد الحسن ابن علي القارئ المصري ، قال: نا أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله التميمي اللغوي ، قال: حدثنا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا القرشي الزهري ، قال : "ما نقله ياقوت حرفيا "(٢) .

ثم يقول ياقوت معلقا على قول الزهري :

"قال المؤلف " وهذا كلام عليه طلاوة من غير فائدة تامة ، وإنما قصدوا بكتبهم على الحرف "صح " إن كان شاكا في صحة اللفظة ، فلما صحت له بالبحث خشى أن يعاوده الشك فكتب عليها "صح " ليزيل شكه فيما بعد ويعلم هو أنه لم يكتب عليها "صح " إلا وقد انقضى اجتهاده في تصحيحها ، وأما الضبة التي صورتها (صـ) فإنما هو نصف " صح " كتبه على شيء فيه شك ليبحث عنه فيما يستأنفه ، فإذا صحت له أتمها بحاء فيصير صح ولم علم عليها بغير هذه العلاقة لتكلف الكشف وإعادة كتبه "صح " مكانها "(٣) .

وكلام ياقوت هو الأقرب للصواب ، فهو يوافق الإعمال العقلي والطبيعة البشرية كما أن ياقوتا أعلم من الزهري بعلم الكتابة ، فقد عمل ناسخا بالأجرة لسنوات طويلة فحكمه حكم من له دربة على شيء وعلم كبير بفنه ، وقد وافقه المحدثون ممن اشتغلوا بعلم التحقيق ، ووضعوا فيه مؤلفات ، فها هو دكتور التنوخي ، يقول : " صح يضعها المؤلف

(١) " معجم الأدباء " : ١ / ١٢٣ ، ترجمة : ٣٤ .
(٢) "جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس" الحميدي:١٥٢ ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ٢٠٠٨م .
(٣) " معجم الأدباء " : ١ / ١٢٣-١٢٤ ، ترجمة : ٣٤ .

فوق تركيب يتهيأ له أن الشك به قد يعتري القارئ "(١) ، وقال دكتور مهدي فضل الله : "حرف صـ (رأس صـ) ويسمى ضبة ومعناه تنبيه الناظر أو القارئ ، بأن النص الذي يعلوه هذا الحرف ، فيه خطأ أو مرض ، وأن صاحب المخطوط ليس بغافل عن ذلك ، وكلمة (صح) ومعناها أن اللفظ الذي تعلوه مثل هذه الكلمة هو صحيح "(٢) .

هذا هو الفرق الجوهري بين ياقوت وكثير من الأخباريين ، فالحميدي لم يعلق على هذا الخبر ، ولم يعره أدنى انتباه ، وهذا لم يحدث مع ياقوت فقد نقد هذا الخبر ، وقال أن صاحبه أخطأ ، ووضح لنا السبب في ذلك ، ومما لا شك فيه أن عمله بالنسخ قد أفاده في ذلك ، فبالتأكيد قد مرت عليه مثل هذه الشكوك فقام بوضع (صـ) على ما شك فيه ، ثم لما اتضح له صحة ما شك فيه استكملها فصارت (صح).

ومنها نقده لشعر علي بن حمزة الأصفراني كله ، يقول :

" قال المؤلف : ولعلي بن حمزة هذا مفاوضات طوال وجوابات لجماعة من شعراء أصبهان منهم أبو الحسن ابن طباطبا العلوي وغيره ، لم أذكر منها شيئا لطولها ولقلة فائدتها عندي ، فشعره على هذا النمط لا طائل فيه ، إلا أنه عند أهل أصبهان جليل نبيل (٣) .

وفي هذا دليل على أن ياقوتا لم يبغ أن يترجم وينقل الأخبار فقط ، بل كان ينتقي ما يحب من الأخبار والأبيات الشعرية ، وما لا فائدة منه لا يدرجه بين صفحات معجمه فلياقوت ذوق أدبي نقدي على أثره ينتقي ، وعليه يتكئ .

---

(١) " المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات " دكتور : محمد التنوخي : ١٥١ ، طبعة عالم الكتب .
(٢) " أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق " د. مهدي فضل الله : ١٥٠ ، طبعة دار الطليعة للنشر والتحقيق بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٩٨م ، وانظر العلامات والرموز عند المؤلفين العرب تأليف حسين محفوظ .
(٣) " المصدر السابق " : ٤ / ١٧٥٤ ، ترجمة : ٧٥٤ .

* وقد حكم على شعر القاسم بن محمد الديمرتي الأصبهاني بعد أن أورد أبياتا له في جمع الشعراء العشرة ، وفيها بيت بدون الشطر الثاني لم يستطع تصريعه ، يقول ناقدا له :

" **قال المؤلف** : وهذا شعر هذا العلامة كما ترى في غاية الركاكة والرداءة ولم يستطع تصريع البيت الذي فيه ذكر النابغة "(١).

* وكان يغير بعض الكلمات أو يغير شطرا كاملا ، وفي هذا دليل على وصوله إلى قمة النقد الأدبي ، ففي ترجمته لعثمان الخزرجي يقول :

"قال الصقلي ومن أعجب من ذلك أني صنعت قصيدة أولها :

(من الطويل)

يهون عليها أن أبيت متيمـــا وأصبح محزونا وأضحي مغرما

ومنها :

صلي مدنفا أو اوعديه وأخلفي فقد يترجى الآل من شفه الظما "(٢).

وواضح أن ياقوتا لم يعجبه بعض ألفاظ هذه الأبيات فأخذ يقول رأيه فيها مغيرا لبعض تلك الألفاظ ، يقول : " قلت : لو قال في موضع " أضحى " من البيت الأول " أمسى " كان أجود ليقابل به " أصبح " ، ولو قال في البيت الثاني " وقد يشتفي بالآل من شفه الظما " كان أحسن في الصنعة وأجود "(٣).

وهنا تتجلى قدرته النقدية الأدبية ، وكذلك تتضح معرفته بحسن الصنعة الشعرية والجودة اللفظية ، فقد غير كلمة " أضحى " بكلمة " أمسى " لمعرفته بأن المقابلة أحسن وأجود في صنعة الشعر ، فأمسى وأضحى بينهما مقابلة ، وهنا يصل الشاعر إلى مبتغاه فهو

(١) " المصدر السابق " : ٥ / ٢٢٢٩ ، ترجمة : ٨١٠ .
(٢) " معجم الأدباء " : ٤ / ١٦٠٩ ، ترجمة رقم : ٦٩٧ .
(٣) " المصدر السابق " ٤ / ١٦١٠ .

يبغي أن يوضح لنا مدى حزنه وغرامه بمحبوبته ، فلو قال مثلما قال ياقوت وغير كلمته بكلمة الحموي لوصل إلى مراده واتضح أنه يتعذب طيلة يومه في المساء محزون ، وفي الضحى مغرم ، ويبيت وهو متيم .

وقد غير الشطر الثاني والذي فيه : " فقد يترجى الآل من شفه الظما " ، إلى : " وقد يتشفى بالآل من شفه الظما " ، والآل هو السراب ، فمراد الشاعر أنه يطلب من حبيبته أن تعده ثم تخلف وعدها له ، قائلا لها : إن الظمآن قد يترجى أن يرى السراب ، وحقيقة ما غيره ياقوت أبلغ ، فالمعنى الذي ذكره ياقوت هو ما يحقق مراد الشاعر ، فقوله : " وقد يشتفي بالآل من شفه الظما " أبلغ حيث فيه أن من يكون ظمآنا فإنه سيشفى إن رأى السراب ، ومعنى الشطر الذي قاله الشاعر : أن من يصيبه العطش يترجى السراب فالأبلغ قول ياقوت .

كما كان لا يقف عند حد الألفاظ فقط بل كان يتطرق للمعنى ، فقد نقد بيتين للزبير بن بكار ، ومناسبة هذين البيتين أن الزبير شكر بعض الملوك ولكنه لم يقبل شكره حق القبول ، فأنشد يقول :

" فلو كان يستغني عن الشكر ماجد لعزة ملك أو علو مكان
لما ندب الله العباد لشكره فقال اشكروني أيها الثقلان "

فعلق ياقوت عليهما قائلا : " قال المؤلف : هذا قول بشع شنع ، فإن الله تعالى ليس به فاقة إلى شكر عباده ، وإنما أدبهم بما أمرهم ، قلت : وإنما هذه استعارة حسنة .(١) "

(١) " معجم الأدباء " : ٣ / ١٤٢٣ .

وهنا تتجلى شخصية ياقوت الدينية وحسن خلقه مع الله ، فبشع وشتع قول ابن بكار ، وهذا يتفق مع قوله تعالى (: ...وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾) (النمل : ٤٠)

فالله سبحانه وتعالى غير مفتقر إلى عباده ، فالله غني عن العباد وعبادتهم ، كريم في نفسه وإن لم يعبده احد من خلقه ، فإن عظمته ليست مفتقرة إلى احد جل وعلا ، فهناك فرق بين الاستحقاق والحاجة ، فالله مستحق للشكر وليس محتاج إليه ، أما الحاجة فالله عنها غني حميد ، فلا يزيده شكرهم ولا يضيره كفرهم ، بل فنعمة الشكر تعود على العباد كما أن عاقبة الكفر تؤول إليهم ، فالحمد استحقاقا لله واجبا في أعناق البشر ، وقد وضح ياقوت كل هذه المعاني بكلمات بسيطة تدل على قدرته للوصول إلى غرضه بأقل الكلمات ثم يأتي بعد ذلك فينظر نظرة الناقد فيقول إن هذا من حسن الاستعارة بعيدا عن المعنى .

* وكان يحكم على المؤرخين ناقدا لهم ، فكما كان يثق في السمعاني وابن الخطيب كان لا يثق في ابن الجوزي المؤرخ ، ، يقول عنه في ترجمته لقدامة بن جعفر الكاتب :

" وذكر أبو الفرج بن الجوزي في تاريخه قدامة بن جعفر ..... مات في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة في أيام المطيع ، وأنا لا أعتمد على ما تفرد به ابن الجوزي لأنه عندي كثير التخليط "(١) .

وعدم الثقة هذه ليست عامة ، وإلا لما اعتمد ياقوت على رجل لا يثق فيه ، فقد نقل الحموي عن ابن الجوزي كثيرا في معجميه ، لذا خصص الأمر ، فقال : " وأنا لا أعتمد على ما تفرد به ابن الجوزي " ، وهذا يعني تخصيص التفرد في أمر ما وليس كل ما يكتبه ابن

(١) " المنتظم " ابن الجوزي : ١٤ / ٧٣ ، ترجمة : ٢٥٠٥ .

الجوزي لا يثق فيه ياقوت ، فالحموي كان يعرف ما يكتبه تمام المعرفة ، كما أن ابن الجوزي من الأئمة المشهود لهم بالصدق والتثبت من الأخبار.

ونقل الصفدي عن ياقوت المقولة السابقة ، والتي يشكك فيها بتفرد ابن الجوزي ، ثم علق قائلا ما يتفق مع شك ياقوت في ابن الجوزي : " قلت : قال محب الدين بن النجار في ذيل تاريخ بغداد : توفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة "(١).

* وكان من المصادر النقدية التي اعتمد عليها ياقوت " يتيمة الدهر للثعالبي "فاستعان به في نقد بعض الكتب ، فاليتيمة أحد مصادر ياقوت النقدية ، يقول ناقلا عن الثعالبي في يتيمته وأن لم يصرح بذلك ، وهذا من العيوب التي وقع فيها ياقوت ، والتي حاد فيها عن منهجه في إثبات نقوله :

" وله في التصانيف كتاب في العروض جيد بالغ سماه " عروض الورقة " كتاب المقدمة في النحو. كتاب الصحاح في اللغة ، وهذا الكتاب هو الذي بأيدي الناس اليوم وعليه اعتمادهم ، أحسن تصنيفه ، وجود تأليفه ، وقرب متناوله ، وأبر في ترتيبه على من تقدمه ، يدل وضعه على قريحة سالمة ونفس عالمة ؛ فهو أحسن من" الجمهرة " وأوقع من " تهذيب اللغة " وأقرب متناولا من "مجمل اللغة ، فيه يقول الشيخ أبو محمد إسماعيل بن محمد بن عبدوس النيسابوري ....."(٢).

* ونقل عنه فقرات أخرى كثيرة غير هذه ، ثم صرح بعد ذلك بنقله عن الثعالبي في يتيمته ، يقول :

---

(١) "الوافي بالوفيات " الصفدي : ٢٤ / ١٥٣ – ١٥٤ ، ترجمة : ١١٥ ، ولم أقف على ترجمته في ذيل تاريخ بغداد .
(٢) " معجم الأدباء " : ٢ / ٦٥٧ ، ترجمة : ٢٤٠ ، انظر " يتيمة الدهر " الثعالبي ، ٤ / ٤٠٧ تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة / ١٣٧٥ – ١٣٧٧ .

" وقد ذكره أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي في " كتاب يتيمة الدهر " وأنشد من شعره ..."(١).

ونقل هذا السيوطي في كتابة المزهر ونسبه لياقوت ولم ينسبه للثعالبي وذلك لأن ياقوتا لم يصرح بالنقل عن اليتيمة(٢).

- استخدامه بعض الأخبار لينقد أهل زمانه :

علق على خبر أورده عن ابن الدهان اللغوي حيث كان سئ الحال محالفا للفقر على حد قول ياقوت ، وكان في أحد مجالسه فبدت سوءته ، فأشار بعض تلامذته إلى الشيخ ذاكرين له أسماء مختلفة لسوءته و فعلق ياقوت على هذا الخبر ناقدا لأهل زمانه وفي هذا النقد بيان للحالة الاجتماعية التي يعيشها أهل وقته .

" **قال المصنف** : هذه حكاية مشهورة صحيحة عن هذا الصدر الذي يتعذر أن يكون في زماننا مثله ، وقد كان يقصد وتقرأ عليه علوم الأدب ، وأهل زماننا يذمون زمانهم ولم يكن له ثوب يواريه ، ولا في تلاميذه ذو أريحية يواسيه ، فضلا عن أن يفضل عليه ويبره . ولكن ذم الناس لزمانهم لقلة رضاهم بأرزاقهم وأن كل أحد يرجو الغاية لا الكفاية ، ويرى أنه مستحق للملك ، لا لما يمشي أمره في دار الهلك ، والله المستعان "(٣).

نقده للخطوط :

ولم يقف ياقوت عند حد نقد الروايات والأخبار والشعر والإخباريين ، بل كان ينقد أرباب الخطوط ومنهجه في نقد الخط يعتمد على أشياء معينة ثابتة ألا وهى :

---

(١) " المصدر السابق " : ٢ / ٦٩٦ ، ترجمة : ٢٤٠ ، انظر " يتيمة الدهر " : ٤ / ٤٠٧ .
(٢) " المزهر " للسيوطي : ١ / ٩٨ ، ط : مكتبة دار التراث الطبعة الثالثة د . ت .
(٣) " معجم الأدباء " : ٣ / ٩٩٧ ، ترجمة :٣٤٨ .

(١) جمال الخط من حيث الشكل .

(٢) الاهتمام بتشكيل الحروف .

(٣) الأمانة حيث إن شك الناسخ بكلمة فعلية أن يضع علاقة توضح ذلك .

وقد جمع ياقوت كل هذه الآراء النقدية لأصحاب الخط في نقده لنقد علي بن محمد الأسدي .

" **قال مؤلف الكتاب** : ورأيت بخطه عدة كتب فلم أر أحسن ضبطا واتقانا للكتابة منه ، فإنه يجعل الإعراب على الحرف بمقدار احتياطا ، ويكتب على الكلمة المشكوك فيها عدة مرار صح صح صح ، وكان من جماعي الكتب وأرباب الهوى فيها "(١) .

ويقول في ترجمة علي بن نصر البرنيقي :-

" أحد الأدباء رأيت بخطه كتبا أدبية لغوية ونحوية فوجدته حسن الخط متقن الضبط "(٢).

" ورأيت خطه وليس بجيد المنظر لكن متقن الضبط "(٣).

فجودة الخط وحسن منظره فقط لا تعلى من شأن أرباب الخطوط ، بل اتقان ضبط الكلمات أيضا له كفل من ذلك .

" وله خط يزري بخط ابن مقلة على طريقته "(٤).

ولكثرة اطلاعه على الكتب ومعرفته الكبيرة بأماكن وجود التراجم التي ينبغي ذكرها نجده يذكر خبرا نقله اثنان من كبار المؤرخين وهما : (ابن الجوزي في كتابه المنتظم) و(غرس النعمة في كتابه الهفوات) ، ولكن صاحبنا الحريص دائما على صحة ما ينقل

(١) " معجم الأدباء " : ٤ / ١٨٦٧ ، ترجمة : ٨٠٧ .
(٢) " المصدر السابق " : ٤ / ١٩٨٣ ، ترجمة : ٨٤٥ .
(٣) " المصدر السابق " : ١ / ١٨٨ ، ترجمة ٥٥ .
(٤) " المصدر السابق " : ١ / ٢٥٣ ، ترجمة : ٧٩ .

والذي ساعده بلا شك كثرة مطالعته للكتب وشغفه بها وبنسخها ، ينقل ما قاله ابن الجوزي ، يقول ابن الجوزي :

" محمد بن أحمد ابن طاهر بن أحمد بن منصور يعرف بخازن دار الكتب القديمة ومن ساكني درب المنصور بالكرخ سمع ابن غيلان والتنوخي وغيرهما وكان سماعه صحيحا ؛ روى عنه أشياخنا إلا أنه كان يذهب مذهب الإمامية ، وهو فقيه في مذهبهم ومفتيهم ، كذلك قال شيخنا ابن ناصر ، وتوفي يوم السبت ثالث عشر شعبان ودفن بمقابر قريش "(١) .

ثم نقل خبر غرس النعمة عن هذا الرجل أبو منصور الخازن ، وعلق على الخبرين قائلا :

" **قال المؤلف** : هكذا وجدت هذا الخبر، وقد وافق رواية ابن الجوزي في كون ابن حمد خازن الكتب بين السورين ، وفي مقاربة العصر ، وخالفه في الكنية ، ولا أدري هل هو هذا أو غيره ؟ أو قد غلط أحدهما في الكنية والله أعلم .

ثم وقفت على المذيل الذي للسمعاني بخطه على حاشية ملحقة أن محمد ابن عطاف الموصلي سأل أبا منصور بن حمد الخازن عن مولده ، فقال : سنة ثماني عشرة وأربعمائة . قال : وسأله غيري ، فقال: سنة سبع عشرة وأربعمائة، وهذا يدل على أن هذه الحكاية ليست عنه ، لأن المرتضى مات سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، فيكون حينئذ قد كان ابن حمد ابن ثماني عشرة سنة ، فيستحيل أن تكون الحكاية عنه وعساها عن أبيه عز وجل أعلم بالصواب "(٢) .

---

(١) " المنتظم" ابن الجوزي : ٩ / ١٨٩ ، دار صادر – بيروت الطبعة الأولى ، ١٣٥٨هـ عدد الأجزاء : ١٠ ، ونقل ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء ذلك الخبر بتصرف ٥ / ٢٣٧٦.

(٢) معجم الأدباء : ٥ / ٢٣٧٧ .

وهنا اعتمد ياقوت في نقده لهذا الخبر على كتاب بخط مؤلفه ، ومن هذا المؤلف إنه السمعاني الذي يعده ياقوت أدق مؤرخ ، وليس ياقوت فقط ، فالسمعاني مشهور بتحريه الدقة والأمانة في النقل لذا فعندما ينقل الحموي منه خبرا منه ووجد خبرا آخر يتعارض مع ما ذكره السمعاني فإنه يصدق خبر السمعاني عن غيره .

*****

القضايا النقدية التي تناولها ياقوت :

تناولنا سابقا في خضم حديثنا عن شعر الحموي قضايا التضمين وحسن الخروج والاقتباس ، وهنا سنتناول قضايا أخرى وهي :

- **قضية الانتحال :**

النحل : إعطاؤك إنسانا شيئا بلا استعاضة(١) .

ويقال نحل الشاعر قصيدة إذا نسبت إليه وهي من قيل غيره(٢) .

ونحلت المرأة مهرها نحلة ، أي عن طيب نفس من غير مطالبة . كذا قال المفسرون في قوله تعالى : ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ ... [النساء ٤]

وقولهم قد انتحل كذا وكذا ، قال أبو بكر ، قال أبو العباس معناه : قد ألزمه نفسه وجعله كالملك لها . أخذ من النحلة وهي الهبة ، والعطية يعطاها الإنسان(٣) .

فالانتحال إذن على وجهين ، الأول : وهو بمعنى الهبة والعطية ، والهبة تعني الإعطاء دون انتظار المقابل ، كأن ينتحل الشاعر شعرا ليس من قوله ، فيلصق أحد الرواة ، أو أحد الناس شعرا به ، **والثاني** : أن ينتحل شاعر شعر غيره وينسبه إليه فيكون بذلك سارقا له فانتحل وتنحل فلان شعر فلان أي ادعاه لنفسه وما هو بقائله ، وهذا هو المعنى الذي تناوله ياقوت في كتابه .

* ممن اشتهر بانتحال الشعر وإلحاقه بالشعراء حماد الراوية وقد ترجم له ياقوت وذكر انتحاله الشعر ، يقول :

---

(١) " العين " للفراهيدي : ٩٤٦ .
(٢) " لسان العرب " : ١١ / ٦٤٩ .
(٣) " الزاهر في معاني الكلمات " أبو بكر الأنباري : ٢ / ٢١٢ ، تحقيق د : حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، الطبعة الأولى (١ – ٢).

" **وقال الأصمعي** : كان حماد أعلم الناس إذا نصح ، يعني إذا لم يزد وينقص في الأشعار والأخبار فإنه كان متهما بأنه يقول الشعر وينحله شعراء العرب .

وقال المفضل الضبي : قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا، فقيل له : وكيف ذلك ؟ أيخطئ في رواية أم يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عالم ناقد وأين ذلك "(١) .

وقد تناول الأصفهاني قضية انتحال حماد الراوية للشعر في أخباره ، يقول :

" قال صالح وأنشد حماد الراوية بلال بن أبي بردة ذات يوم قصيده قالها ونحلها الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعري ، يقول فيها :

(من البسيط)

جمعت من عامر فيها ومن جشم ومن تميم ومن حاء ومن حام

مستحقبات رواياها جحافلهـــا يسمو بها أشعري طرفه سامي

فقال له بلال قد علمت أن هذا شيء قلته أنت ونسبته إلى الحطيئة ؛ وإلا فهل كان يجوز أن يمدح الحطيئة أبا موسى بشيء لا أعرفه أنا ولا أرويه ، ولكن دعها تذهب في الناس وسيرها حتى تشتهر "(٢) .

وقال التوزي : " اتكل أهل الكوفة على حماد وجناد ، ففسدت رواياتهم ، من رجلين كانا يرويان لا يدريان ، كثرت رواياتاهما وقل عملهما " .(٣)

---

(١) " معجم الأدباء " : ٣ / ١٢٠٤ ، وانظر " الأغاني " للأصفهاني : ٢ / ١٧٥ ، ط : دار الكتب المصرية الطبعة الأولى ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م (١ – ٢٤) ، وانظر خزانة الأدب : ٩ / ٤٥١ الشاهد ٧٧٤ ، باب : حروف الجر .

(٢) " الأغاني " : ٢ / ١٧٥ - ١٧٦ ، في أخبار حماد الراوية .

(٣) " معجم الأدباء " : ٢ / ٧٩٩ .

*** روى الحموي لأبي عمرو بيتا انتحله وألصقه في أبيات الأعشى يقول :**

" وقيل : إنه لا يعرف له شعر إلا ما رواه بعضهم :

(البسيط)

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

وكان أبو عمرو يقول : هذا البيت أنا قلته وألحقته بشعر الأعشى . قال أبو عمرو بن العلاء : كنت معجبا به حتى لقيت أعرابيا فصيحا فهما فأنشدته إياه ، فقال : أخطأت استُ صاحبه الحفرة ، ما الذي يبقى بعد الشيب والصلع ؟ فعلمت أني لم أصنع شيئا . قال أبو عبيدة : سمعت بشارا قبل ذلك بعشر سنين يقول : ما يشبه هذا شعر الأعشى "(١).

قوله في خلف بن حيان المعروف بالأحمر وأنه كان ممن ينتحلون الشعر :

اشتهر خلف الأحمر قبل تنسكه بانتحال الشعر ، ولم ينفرد ياقوت بهذا القول ، قال عنه أبو الطيب اللغوي : " وضع خلف على شعراء عبد القيس شعرا كثيرا ، وعلى غيرهم ، عبثا به ، فأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة "(٢).

وقال عنه ابن قتيبة : " وكان يقول الشعر وينحله المتقدمين "(٣).

وورد عن القالي أن ابن دريد حدثه ، قائلا : " القصيدة المنسوبة إلى الشنفرى التي أولها :

(من الطويل)

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

---

(١) " معجم الأدباء " : ٣ / ١٣١٨ : ترجمة : ٤٩٦ .
(٢) " مراتب النحويين " لأبي الطيب اللغوي : ٧٤ ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٥م .
(٣) " الشعر والشعراء " : ٢ / ٧٧٩ ، ترجمة : ١٩٢ .

له ، وهي من المقدمات في الحسن والفصاحة والطول ، فكان أقدر الناس على قافية "(١) .

" قال أبو حاتم عن الأصمعي : كان خلف مولى أبي بردة بن أبي موسى الأشعري أعتقه وأعتق أبويه ، وكان أعلم الناس بالشعر ، وكان شاعرا ، ووضع على شعراء عبد القيس شعرا موضوعا كثيرا وعلى غيرهم ، وأخذ ذلك عنه أهل البصرة ، وأهل الكوفة "(٢) .

وكان ياقوت من أولئك الذين ورد عندهم انتحال خلف الأحمر الشعر ، يقول:

" ولم يكن فيه ما يعاب . إلا أنه كان يعمل القصيدة ، يسلك فيها ألفاظ العرب القدماء ، وينحلها أعيان الشعراء كأبي داود الإيادي وتأبط شرا والشنفرى وغيرهم ، فلا يفرق بين ألفاظه وألفاظهم ، فترويها جلة العلماء لذلك الشاعر الذي نحله إياها ، فمما نحله إلى تأبط شرا :

(من الخفيف)

إن بالشعب الذي دون سلع لقتيـــــلا دمـــه لا يطـــل

ومما نحله الشنفرى القصيدة المعروفة بلامية العرب ، أولها :

(من الطويل)

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل "(٣)

ثم روى ياقوت خبرا عن خلف يعترف فيه بانتحاله الشعر ، يقول " قال خلف : أنا وضعت على النابغة القصيدة التي منها :

(من البسيط)

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

---

(١) " الأمالي " للقالي : ١ / ١٥٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، والمقصود قصيدة الشنفرى المسماه لامية العرب .
(٢) " المزهر " السيوطي : ٢ / ٤٠٣ .
(٣) " معجم الأدباء " : ٣ / ١٢٥٧ .

وقال أبو الطيب عبد الواحد اللغوي : كان خلف يصنع الشعر وينسبه إلى العرب فلا يعرف ، ثم نسك وكان يختم القرآن في كل يوم وليلة ، وبذل له بعض الملوك مالا عظيما خطيرا على أن يتكلم في بيت شعر شكوا فيه فأبى ذلك وقال: قد مضى لي فيه ما لا أحتاج أن أزيد عليه . وكان قد قرأ أهل الكوفة عليه أشعارهم وكانوا يقصدونه لما مات حماد الراوية ، فلما نسك خرج إلى أهل الكوفة يعرفهم الأشعار التي أدخلها في أشعار الناس ، فقالوا له : أنت كنت عندنا في ذلك الوقت أوثق منك الساعة ، فبقى ذلك في رواياتهم إلى الآن . واختص به أبو نواس وله فيه مراث مشهورة ."(١)

قضية الإبراق في الشعر.

تناول ياقوت هذه القضية في معجمه ولم ترد غير مرة واحدة ، ففي ترجمته لجناد بن واصل الكوفي ، يقول :

" وحدث عبد الله بن جعفر عن جبلة بن محمد الكوفي عن أبيه قال : مررت بجناد مولى الغاضريين وهو ينشد :

(الكامل)

اعلـم بأن الحـق مركبـه إلا على أهل التقى مستصعب

فاقدر بذرعك في الأمور فإنما رزق السلامة من لها يتسبب

فقلت أبرقت يا جناد ، قال : وأنى ذلك ؟ قلت : في هذين البيتين ، قال : فلم يستبن ذلك ، فتركته وانصرفت .

(١) " معجم الأدباء " : ٣ / ١٢٥٦ ، وانظر " المزهر " : ٢ / ٤٠٣ .

قال عبد الله : وإنما أنكر عليه أن البيت الأول ينقص من عروضه وتد ، والثاني تام فكسره ولم يعلم ، والعرب لا تغلط بمثل هذا ، وإنما يغلطون بأن يدخلوا عروضين في ضرب واحد من الشعر لتشابههما ، فأما الصواب فيه أن يقول :

اعلم بأن الحق مركب ظهره إلا على أهل التقى مستصعب

ومعنى قوله " أبرقت " خلطت بيتا مكسورا ببيت صحيح ، فصار كالحبل الأبرق على لونين ، والبرقاء من الأرض والحجارة : ذات لونين سواد وبياض . "(١)

وقال ابن حجر عن جناد : " ما يتكل أهل الكوفة على جناد يفسد رواياتهم "(٢)

(٣) – قضية السرقات الأدبية .

هذه القضية تناولها البحث في حديثه عن شعر ياقوت ، وقلنا باختصار إن ياقوتا قد رد السرقات ، أو أكثر السرقات إلى " وقوع حافر على حافر " ، وهذا قد حدث معه مرتان فبعض مقطوعاته كتبها ، ثم وجد أبياتا لغيره على غرار أبياته ، ولكنه لم يقع عليها وهذا الذي جعله يقول إن أغلب السرقات توارد خواطر لا أكثر ، وذكر البحث أن ياقوتا قد ورد في معجمه بعضا من الأبيات التي سرقها شاعر من شاعر آخر ، وهناك من الشعراء من يسرق اللفظ ، ومنهم من يسرق المعنى وهو من أصعب أنواع السرقة حيث يحتاج اكتشافها إلى دراسة ورجحان عقل وكثرة حفظ وعدة أدبية لا تتوفر في كل الناس بل حباها الله إلى أناس قلائل ، ومن الشعراء من يسرق المعنى كله ومنهم من يسرق بعضه ومنهم من يسرق فيزيد في اللفظ لكنه يخل بالمعنى ، ومنهم من ينقص في اللفظ لكنه يرتقي بالمعنى فيكون قد أبدع وهذا النوع من السرقات الحسنة (٣).

---

(١) " معجم الأدباء " : ٢ / ٨٠٠ ، " الوافي بالوفيات " الصفدي : ١١ / ١٤٦ – ١٤٧ .

(٢) " لسان الميزان " ابن حجر العسقلاني : ٢ / ١٤٠ ، ترجمة : ٦٠٨ ، تحقيق : دائرة المعارف النظامية – الهند ، لناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦هـ –١٩٨٦م ، (١ – ٧) .

(٣) " انظر " النقد الأدبي القديم في المغرب العربي " د : محمد مرتاض : ١١٠ – ١١٣ . حيث استقصى أنواع السرقة مع التمثيل لها .

وذكر البحث بعضا من آراء العلماء في مسألة السرقات الشعرية وأنهم قد اختلفوا مع ياقوت في هذا الأمر، وإيثارا لعدم التكرار لن أعيد ذلك مرة ثانية.

وحقيقة هذه المسألة التي حيرت النقاد، ومنهم من تخير لها أسماء غير السرقة فقال "السلخ"، و"المسخ"، و"النسخ".

" وكان من أقبح ما يتهم به الشعراء أن توجه لهم تهمة السرقة؛ من ذلك أن أبا العباس الشريشي قال في شأنها: "(سلخ): أخذ المعنى. (مسخ): قلب الكلام وغيره؛ (نسخ): قلبه بعينه. والقائلون بالتناسخ لهم ألفاظ تشبه هذه، وهي النسخ والمسخ والرسخ والفسخ. فالنسخ عندهم أن يحول الأدنى إلى الأعلى. والمسخ أن يحول الأعلى من الحيوان إلى الأدنى والرسخ رد الحيوان جمادا. والفسخ أن يتلاشى فلا يكون شيئا... ثم قال: وتقسيم الحريري السرقة في قوله: سلخ ومسخ ونسخ يدخل تحت أقسام السرقات التي عدها أبو محمد الحسين بن علي بن وكيع- رحمه الله تعالى- في كتابه المترجم بالمنصف في الدلالات على سرقات المتنبي، فإنه جعلها عشرين وجها عشرة أوجه يغفر في سرقتها ذنب الشاعر للدلالة على فطنته..."(١).

وهناك من قسم السرقة إلى مصطلحات عديدة، كابن رشيق القيرواني الذي قسمها إلى ستة عشر مصطلحا هي: الاصطراف، والانتحال، والإغارة، والغصب والمرافدة، والاهتدام، والنظر، والملاحظة، والإلمام، والاختلاس، والموازنة، والعكس والموادرة والالتقاط، والتلفيق، وكشف المعنى، والشعر المجدود، وسوء الاتباع(٢).

(١) انظر" تاريخ النقد الأدبي في الأندلس":للدكتور محمد رضوان الداية:٢٢٨، ـدار الأنوار- بيروت- لبنان د. ت.
(٢) انظر " العمدة " لابن رشيق: ٢ / ٢٨١ – ٢٨٣، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار الرشاد الحديثة ـ الدار البيضاء (المغرب).

وحقيقة لم يكن هناك داع إلى الشاعر في اتخاذ معاني غيره غير استحسانه للمعنى فعمل على شاكلته ، فقضية السرقة تبدأ باستحسان المعنى ، لكن لابد أن تغير في القوالب أو القوافي ، أو التركيب ، وقال ابن الشهيد : "إذا اعتمدت معنى قد سبقك إليه غيرك فأحسن تركيبه، وأرق حاشيته، فاضرب عنه جملة. وإن لم يكن بد ففي غير العروض التي تقدم إليها ذلك المحسن لتنشط طبيعتك وتقوي منتك "(١).

وقد وافق ابن بسام ياقوتًا في قوله بأن السرقات قد تكون نتيجة توارد الخواطر لا أكثر ، فالشعر ميدان والشعراء فرسان .

وقد ورد في معجم الأدباء خبرًا آخر يؤكد على كلام ياقوت وأن أكثر ما ينسب إلى السرقة إنما هو توارد خواطر ، يقول على لسان عثمان الصقلي :" قال : ثم قرأت بعد ديوان البحتري فوجدت معظم هذه الألفاظ مبددة فيه . قال : فإذا كانت أكثر المعاني يشترك فيها الناس حتى قطع ابن قتيبة أن قوله تعالى... يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ..."(الكهف : ٧٧) لا يعبر عنه إلا بهذه العبارة ونحوها فغد مستنكر أن يشتركوا وتتفق ألفاظهم في العبارة عنها ولكن أبى المولدون إلا أنها سرقة "(٢).

وهذا يؤكد على مدى انشغال الأدباء بهذه القضية ، ومدى اختلافهم فيها فهناك من اتفق مع ياقوت بالقول بإن أكثر ما ينسب إلى السرقات إنما هو توارد خواطر وهناك من جزم بأنها سرقة وليس توارد خواطر ، وكل فئة ساقت ما يؤكد كلامها .

" هكذا شغلت هذه القضية مختلف المظان التي عنيت بالتطرق إلى الشعراء، فلم يسلم من مثالبها حتى الشعراء الكبار من أمثال أبي الطيب المتنبي، وأبي العلاء المعري وحبيب بن أوس الطائي، وعبادة بن الوليد البحتري، وغيرهم. ولذلك نجد معظم نقاد المشرق

(١) انظر " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " : لابن بسام- القسم الأول (جزءان) القاهرة (١/ ١ : ٢٤٤) .
(٢) " معجم الأدباء " : ٤ / ١٦١٠ ، ترجمة رقم : ٦٩٧ .

العربي قد احتفلوا بهذا الموضوع، وتعرضوا إلى مختلف الجوانب المتعلقة به، ولا سيما بعد بروز هؤلاء الشعراء الكبار، وبعد زعامة كل واحد منهم لمدرسة تخصه، فظهر الصراع حول أيهم الأفضل، وحول أيهم الموفق، بل المتفوق "(١).

نخلص من هذا أن توارد الخواطر ليس من ضروب السرقة، بل هو من قول ابن بسام الشعر ميدان والشعراء فرسان، فالشعر وقوالبه ومعانيه ميدان رحب يتسع لكل من يريد السباق فيه، والشعراء كالفرسان لهم أن يمتطوا ما يشاءون من قوالبه ومعانيه، لكن السارق أو الآخذ يكون بذلك قد احتجز إبداعه، وقتل المبادرة لديه، فلو كل واحد اعتمد على ما ساقه الآخرون من معان لما وجدنا المبدعين والمخترعين والمجددين.

وذكر ياقوت كتابا للحسن الآمدي صاحب الموازنة بين البحتري وأبي تمام، وهو "كتاب الخاص والمشترك"، يقول ياقوت: "وله أيضا كتاب الخاص والمشترك تكلم فيه على الألفاظ والمعاني التي تشترك العرب فيها ولا ينسب مستعملها إلى السرقة وإن كان سبق إليها، وبين الخاص الذي ابتدعه الشعراء وتفردوا به ومن اتبعهم وما أقصر في إيضاح ذلك وتحقيقه "(٢).

وهذا الكتاب لم يصل إلينا حتى الآن، ولعل المكتبة العربية تحتفل بخروجه قريبا فواضح من كلام ياقوت عنه أنه من الكتب الهامة التي تناولت قضية السرقات الأدبية وهنا تكمن أهمية هذا المعجم الذي يقف بالقارئ على بعض الكتب التي فقدت، ولا يكتفي بمجرد ذكر اسمها بل يسبح به في صفحاتها مبينا موضوعها ناقدا إياها.

---

(١) " النقد الأدبي القديم في المغرب العربي نشأته وتطوره دراسة وتطبيق" د: محمد مرتاض، (١٠٠)، الناشر اتحاد الكتاب العرب ٢٠٠٠م.

(٢) " معجم الأدباء " : ٢ / ٨٥٢، ترجمة رقم : ٣١١.

ومن الكتب التي ذكرها ياقوت وتناولت قضية سرقة الشعراء من بعضهم البعض كتاب " إغارة كثير على الشعراء "(١) والذي وضعه الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي ومن معناه يتضح أن ابن بكار قد قصر كتابه على سرقة كثير على الشعراء ، ولم يتطرق إلى شاعر غيره ، فهو من الكتب التي تخصصت في سرقة شاعر بعينه .

وقد اختلف النقاد فيما بينهم فمنهم من قال عن بيت معين لشاعر ما أنه سرقه من فلان ، فيختلف معه آخر حول نفس البيت ويقول إنه ليس من ضروب السرقة ، لذا قال الجرجاني : "ولست تعد من جهابذة الكلام، ولا من نقاد الشعر، حتى تميز بين أصنافه وأقسامه، وتحيط علما برتبه ومنازله ، فتفصل بين السرق والغصب وبين الإغارة والاختلاس وتعرف الإلمام من الملاحظة وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز إدعاء السرقة فيه ، والمبتذل الذي ليس واحد أحق به من الآخر "(٢).

- قضية اللفظ والمعنى(٣).

تلك القضية التي شغلت النقاد والأدباء طيلة القرون السابقة ، وأثارت حفيظة كل من يعمل بالأدب ، وتكلم عنها القدماء والمحدثون واستوفوا لها حقها من الاهتمام وقد تناولها ياقوت في مغمار كتابه ، حيث ذكر المناظرة التي كانت بين أبي سعيد السيرافي النحوي وبين متي بن يونس عالم من علماء المنطق ، يقول :

" هذا نحو ، والنحو لم أنظر فيه لأن لا حاجة بالمنطقي إلى النحو ، وبالنحوي حاجة

---

(١) " المصدر السابق " : ٣ / ١٣٢٥ .

(٢) " الوساطة بين المتنبي وخصومه " : ١٨٣، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم، محمد البجاوي ، مطبعة الحلبي- ط٢ القاهرة ١٩٥١م .

(٣) انظر : " قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية (إلى عهد السكاكي ٥٥٥هـ - ٦٢٦هـ) ، د. علي محمد حسن العماري ، طبعة مكتبة وهبة – القاهرة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، وانظر : " مجلة فصول بعنوان "تراثنا النقدي " الجزء الأول ، " اللفظ والمعنى في البيان العربي " محمد عابد الجابري : ٢١ ، العدد : الأول ، المجلد السادس / أكتوبر – ديسمبر ١٩٨٥م .

إلى المنطق، لأن المنطق يبحث عن المعنى، والنحو يبحث عن اللفظ، فإن مر المنطقي باللفظ فبالعرض، وإن عبر النحوي بالمعنى فبالعرض، والمعنى أشرف من اللفظ واللفظ أوضع من المعنى.

قال أبو سعيد: أخطأت لأن المنطق والنحو واللفظ والإفصاح والإعراب والإنباء والحديث والأخبار والاستخبار والعرض والتمني والحض والدعاء والنداء والطلب كلها من واد واحد بالمشاكلة والمماثلة، ألا ترى أن رجلا لو قال: نطق زيد بالحق، وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفحش، وأعرب عن نفسه ولكن ما أفصح، وأبان المراد ولكن ما أوضح أو فاه بحاجته ولكن ما لفظ، أو أخبر ولكن ما أنبأ، لكان في جميع هذا مخرفا ومناقضا وواضعا للكلام في غير حقه، ومستعملا للفظ على غير شهادة من عقله وعقل غيره .....وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبيعي والمعنى عقلي، ولهذا كان اللفظ بائدا على الزمان يقفو أثر الطبيعة بأثر آخر من الطبيعة ولهذا كان المعنى ثابتا على الزمان لأن مستملي المعنى عقل، والعقل إلهي، ومادة اللفظ طينية، وكل طيني متهافت"(١).

هذه بعض القضايا التي تناولها ياقوت في معجمه، ووضع لبنة في جدار كل قضية فيها، ذاكرا رأيه أو رأي غيره، غير متعصب لأحد الآراء ولكنه يذكر الرأي والرأي الآخر، ثم إن كان له رأي في تلك القضية وضحه، وهذا ما يميز ياقوت في كتابه، فهو غير متعصب لرأي، وإنما يتناول الأمور بنزهة علمية يحسد عليها.

(١) "معجم الأدباء": ٢ / ٨٩٨ – ٨٩٩.